السجن، وتعسَّف الطريق على الجبال حتى أتى مِنى وبها أبوه محمد ابن الحنفية ففي ذلك يقول كثير:

تـخـبِّـرُ مـن لاقـيـت أنـك عـائـذٌ ... بل العائذ المظلوم في سجن عارم
ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منًى ... من الناس يعلم أنه غيْرُ ظالم
سـمـيّ نـبـيّ الله وابـن وصـيِّـه ... وفـكَّـاكُ أغـلالٍ وفـاضـي مـغـارم

وقد كان ابن الزبير عمد إلى من بمكة من بني هاشم فحصرهم في الشِّعْبِ، وجمع لهم حَطَباً عظيماً لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد، وفي القوم محمد ابن الحنفية.

ابن الزبير وآل بيت الرسول

وحدث النَّوْفَلي علي بن سليمان، عن فضيل بن عبد الوهاب الكوفي، عن أبي عمران الرازي، عن فطر بن خليفة، عن الديال بن حرملة، قال: كنت فيمن استنفره أبو عبد الله الجدلي من [أهل] الكوفة من قبل المختار، فنفرنا معه في أربعة آلاف فارس، فقال أبو عبد الله: هذه خيل عظيمة، وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل على بني هاشم، فيأتي عليهم، فانتدبوا معي، فانتدبنا [معه] في ثمانمائة فارس جريدة خيل، فما شعر ابن الزبير إلا والرايات تخفق على رأسه، قال: فجئنا إلى بني هاشم، فإذا هم في الشِّعْبِ، فاستخرجناهم، فقال لنا ابن الحنفية: لا تقاتلوا إلا من قاتلكم، فلما رأى ابن الزبير تنمرنا له وإقدامنا عليه لاذ بأستار الكعبة، وقال: أنا عائذ الله.

وحدث النوفلي في كتابه في الأخبار، عن ابن عائشة، عن أبيه، عن حماد بن سلمة، قال: كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم وحَضْره إياهم في الشعْبِ وجمعه [لهم] الحطب لتحريقهم، ويقول: إنما أراد بذلك إرهابهم [ليدخلوا في طاعته] إذ هم أبوا البيعة فيما سلف، وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا، وقد أتينا على ذكره في كتابنا في مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب «حدائق الأذهان».

وخطب ابن الزبير فقال: قد بايعني الناس، ولم يتخلف [عن بيعتي] إلا هذا الغلام محمد ابن الحنفية، والموعد بيني وبينه أن تغرب الشمس، ثم أضرم داره عليه ناراً، فدخل ابن العباس على ابن الحنفية فقال: يا ابن عم، إني لا آمنه عليك فبايعه، فقال: سيمنعه عني حجاب قوي، فجعل ابن عباس ينظر إلى الشمس، ويفكر في كلام ابن الحنفية، وقد كادت الشمس أن تغرب، فوافاهم أبو عبد الله الجدلي فيما ذكرنا من الخيل، وقالوا لابن الحنفية: ائذن لنا فيه، فأبى، وخرج إلى أيْلَةَ فأقام بها سنين، ثم قتل

almawaddah.be